

قبل البدء

إن الإنسان الآخر هو لغز حياتي. منذ حداثة العمر أنا والآخر في مواجهة، وجهًا لوجه. إنه في الفكر والقلب والحس؛ إنه في كياني بكليته. لم يكن غائبًا ولن يغيب أبدًا عني بل كان وما زال حضورًا راسخًا في جذور الخليقة. إنه هدية وهداية. إنه انعكاس لمحبة واهب الحياة.

هذا الآخر، وإن تكلمت عنه في ضمير الغائب هنا، ما كان إلا مخاطبي؛ ما كان إلا من يثبت وجودي. إنني في سعي دائم إلى اكتشاف أغواره كي أكتشف ذاتي. إنه سعي كيان إلى كيان؛ سعي الفكر إلى استلهام فكره ونبض القلب المتسارع إلى لقياه ومحبتة، والحس التائق والمشتاق إلى حسه ووجوده.

إنما رغم هذا الاعتراف، يبقى صاحبي الآخر لغزًا حتى يفتح لي باب فكره، قلبه وحسه. إنه يبقى لغزًا حتى أتوثب وأخرج وأذهب إليه. إنه يبقى لغزًا حتى ألج إلى عمقه وأعترف بفرادته. إنه ليس أنا؛ إنه ليس صورة عني بل صورة الخالق القدير الذي أحيانًا بنفسه وخلقنا على صورته ودعانا إلى أن نتمثل به.

كذلك أنا أيضًا لغز له من نظاره؛ إنني سرّ كما أنه سرّ إلى أن نرى في أحدنا الآخر؛ إلى أن نصير صورة الله المثلث الأقانيم؛ إلى أن نصير في شراكة كاملة شفافة مبنية على الحب والاحترام. إننا معًا في اكتشاف لما يكشف الله لنا؛ إننا في سعي لاكتشاف الله.

من هنا، كانت هذه الخواطر في هذا الكتيب تدور حول حياتنا الأرضية المشتركة كي نصل إلى مقاصد الله من تكويننا. هكذا، فإن الآخر سعبي، وأنا سعيه. إنه رفيق الطريق والتاريخ؛ إنه صديق مسيرة الحج إلى الله. إن حب الآخر يجب أن يكون كحبي لنفسي كما طلب مني الكتاب: «أحبب قريبك كنفسك». وحيي لنفسي ليس هو حبي للأناء، إنما هو حبي لله الذي يستقر فيّ كما أنه مستقر في قريبي، ولذلك فحبي له هو حب للمصدر الذي سوف يكشف لي عن نفسه كلما ازدادت علاقتي توغلاً وتوثقًا في الإنسان الآخر.

وهكذا فإن التتمّات في الصفحات الآتية هي خلجات حب ووله لهذا الإنسان الآخر. إنها دعوة وانطلاقاً كي لا نكون فقيرين أهدنا للآخر بل متواصلين ومكتملين لأن رب العالمين هكذا شاء. إننا، كلاً على حدة، في فقر، إن لم نتشارك ونستكشف الألوهة التي فينا. حينئذٍ نكون في غفلة من الزمان الذي يمرّ من دون أن يصير بدء تذوّق لمجد الملكوت السماوي.

معاً إلى الله هي ليست مسيرة حج خارج المكان والزمان، إنما هي في صلب المكان والزمان. إنها من الملموس لاكتشاف غير الملموس. إنها تبدأ من استكشافي للإنسان الآخر وانفتاحي عليه وإيجادي الله فيه. إن هذه المحجّة تائفة ومتوتّبة للآتيات المنزلة فينا فهي إذن إنطلاقاً إلى عمق الكيان وكشف سبر أغواره.

معاً من الله وفيه وإليه.

